الاكياس ولا ينتشر منها الا الاقويا ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفا الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره عيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله تعالى بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا الذنوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العمل بما لا يعنيهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصلاح العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والريا والحسد وسائر المهلكات فهو لاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدوا واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك يحتاج الى تعلم الدوا واستعماله فاشتغل بدوا الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكنه يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامراة وتسالني عنها وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والريا والكبر وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات والحيض والنفاس ولا يحتاج الى شي من ذلك في عمره لنفسه فاذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المسكين المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله تعالى فهو باشتغاله معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وربما طعن في المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والخشية والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا مغترا بالله تعالى متكلا على انه لا بد ان يرحمه الله فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم

التي هي اهم وهو غافل مغرور بما شاع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله عز وجل ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل الانذار غير هذا العلم حفظ المال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف فلا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شي وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هولاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشبيهات الموذية وهولاء هم سباع الانس طبعهم الايذا وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران وكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله عز وجل بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتناظرين في الجدل وهولاء قد جمعوا ما جمعه الذين قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا اذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقايق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيه واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية انما وضع وابدع للاظهار والافحام لاقامة سوق الجدال به فغرور هولاء اشد واقبح من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهوا والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من علم المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة ذلك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة عقايدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله تعالى وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرات الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور

Copyright © King Saud University